

ما هو الطاغوت وكيف نكفر به؟

تأليف

ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي





ما هو

الطاغوت

وكيف نكفر به؟

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٣٤هـ

حُقُوقُ الطَّبعِ وَالنَّشرِ مُهدَاةٌ لِلجَمِيعِ

بشرط عدم التغيير في المحتوى



ما هو

الطاغوت

وكيف نكفر به؟

تأليف

ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي




بسم الله الرحمن الرحيم
فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ
فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
سورة البقرة: ٢٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

يقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

خاطب الله عَزَّوَجَلَّ الناس عامة بأمر واحد أن يعبدوه وحده، وذكَّرهم ببعض خصائص الربوبية التي تقتضي إفراد من اختص بها بالعبادة دون سواه، فذكَّرهم بأنه الخالق وحده وهم المخلوقون، وهو المنعم عليهم بأجناس النعم المتكفل برزقهم وما يحتاجون إليه في حياتهم، وهذا مما يقرُّون به لله ويوحدونه فيه، وهو حجة عليهم تقتضي أن يُفردوه بالعبادة ولا يتوجهوا بشيء منها لغيره، فكل ما سواه مخلوقٌ من خلْقه وعبدٌ من عبيده،

فكيف يساوون مخلوقًا بالخالق جَلَّوَعَلَا؟! وكيف يعبدون من دون الله عبدًا مخلوقًا مثلهم؟! أليس الله وحده هو المستحق للعبادة؟

فالمشركون ما يتخذون آلهة وأربابًا من دون الله إلا افتراءً على الله من غير حجّة ولا برهان، ولكن اتّباعًا لأهوائهم وشهواتهم وتقليدًا لشيوخهم ورؤسائهم، قال الله تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ۝٢٣ ﴾ [النجم: ٢٣]، ولو تفكروا في أنفسهم وفي خلق السموات والأرض لعلِموا أنه لا يستحق أحدٌ أن يُعبد ويُطاع ويُستسلم له إلا الله الواحد القهار الذي له الخلق والملك والأمر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢]، فدلائل وبراهين وحدانية الله في ألوهيته وربوبيته مبثوثة في كل مكان تطالعنا في الأنفس والآفاق، وتشهد بأنه لا إله إلا الذي خلق السموات والأرض وبيده ملكوت كل شيء، ولكنّ أكثر الناس عن آيات الله معرضون، ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا

مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٧].

كل ما في هذا الكون شاهدٌ بوحدة خالقه ومالكه ومدبّر أمره، وكل ما في هذا الكون مقِرٌّ بربوبية الله وحده وألوهيته وحده، وكل شيء خاضع مستسلم لله طوعًا وكرهًا، فما حجّة من توجه بشيء من العبادة لغير الله؟ وما حجة من أسلم حياته لغير الله؟ قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [آل عمران: ٨٣].

المشركون أنفسهم يقرون بأنهم مستسلمون لله وحده قهرًا في جزء كبير من حياتهم كما استسلمت له المخلوقات من حولهم، ولكنهم مع هذا لا يوحدون استسلامهم وانقيادهم وخضوعهم لله وحده في الجزء الآخر من حياتهم، بل يجعلون جزءًا من حياتهم لعبد مخلوق مثلهم يتوجهون له بالعبودية والسمع والطاعة وكأنه خالقهم ومالكهم ورازقهم، وهو لا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا ولا رزقًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وقد علموا أن الله ما خلق أحدًا ليكون شريكه في الملك والحكم والسلطان، وإنما خلق الخلق ليعبدوه ويطيعوه ويسلموا له وحده حياتهم كلها ولا يشركوا به شيئًا،

فكان الواجب عليهم أن يتحرروا من كل ألوان العبودية لغير الله، ويتوجهوا كلهم بالخضوع والاستسلام والتقديس والتعظيم لربٍ واحدٍ لا يعبدون غيره، ولا يسمعون ويطيعون لسواه، فلا يكون على أرض الله مُطاعٌ سواه كما ليس في السماء مُطاعٌ غيره، سبحانه وتعالى عما يشركون.

إن العبادة حقٌ خالصٌ لله وحده لا يشاركه فيه أحدٌ من خلقه، من جعل لله شريكًا في عبادته فقد جعل مع الله إلهًا آخر، والشرك بالله سواءٌ كان في خصائص ربوبيته أو ألوهيته ينافي العبودية لله ويناقضها من كل وجه، ولهذا نجد في كتاب الله الأمر بعبادة الله دائمًا يأتي مقرونًا بالنهي عن الإشراك به، فلا تتحقق عبودية الله إلا بنفي العبادة عن غير الله وإثباتها لله وحده، ولهذا كان أول ما يجب على الإنسان ليدخل في دين الله أن يؤمن بأنه لا إله إلا الله اعتقادًا وقولًا وعملًا، فالإنسان لا يكون عابدًا لله حتى يبرأ من عبادة غيره، فمن زعم أنه يعبد الله ولم يتبرأ من عبادة غيره لا يكون عابدًا لله، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يُعبد إلا بالتوحيد، والتوحيد هو دين الله الذي لا يقبل غيره، ولأجله خلق الله الإنس والجن، وبه أرسل رسله وأنزل كتبه، فاجتمعت الرسالات كلها على كلمة واحدة هي كلمة لا إله إلا الله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، والإيمان بأنه لا إله إلا الله يقتضي عبادته

وحده والبراءة من كل معبود سواه، وينتفي هذا الإيمان بالتوجه بشيء من العبادة لغير الله؛ فمن قال لا إله إلا الله كأنه قال لا أعبد أحدًا إلا الله، وعلامة صدقه أن يعمل بقوله فيعبد الله وحده ولا يعبد أحدًا غيره، كما قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، فقول إبراهيم هذا هو حقيقة التوحيد والمعنى الذي دلت عليه كلمة لا إله إلا الله، وهذا هو أول ما يستسلم به العبد لرب العالمين، فالله عَزَّوَجَلَّ أمر ألا نعبد إلا إياه، وأمر أن نعبده مخلصين له الدين، وأمر أن نسلم له وحده، قال الله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤]، ولم يأذن الله لأحد أن يعبد غيره، أو يتّبع شرعًا غير شرعه، فكل ما عُبد من دون الله فبغير إذن الله، وكل شرع خالف شرع الله لم يأذن به الله، قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ ﴾ [الحج: ٧١]، وقال: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم

بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ [الكهف:١٥]، وقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [الشورى:٢١].

فالإشراك بالله في عبادته أو في حكمه يعني اتخاذ معبود مع الله، وهذا المعبود هو إله من عبده من دون الله، وهذا ينافي الإيمان بربوبية الله وألوهيته وحده الذي عليه مدار الإسلام.

وبالرغم من وضوح حقيقة التوحيد من دعوته ﷺ والرسل من قبله إلى عبادة الله وحده والكفر بعبادة ما سواه إلا أن هذه الحقيقة أصبحت اليوم شيئًا نظريًا لا علاقة لها بواقع الحياة، فلم يَعُد شرطًا في كون الرجل مسلمًا أن يعرف توحيد الله ويؤمن به عقيدةً وقولًا وعملًا ويبرأ من الشرك وأهله، بل الشرط الوحيد هو أن يتلفظ بالشهادتين، فصار الفارق بين المسلم والكافر ليس الإيمان بالشهادتين كما شرعه الله وبلَّغه رسوله ﷺ بل التلفظ بهما فقط، أما أن يكون الإنسان مؤمنًا بهما أو غير مؤمن فهذا أمرٌ ثانوي لا يُؤبه له ولا يُعوَّل عليه، وهذا التميع في مفهوم الإسلام نتج عن الجهل بحقيقة التوحيد الذي يفرّق بين دين الله وغيره من الأديان الجاهلية الوثنية الباطلة؛ ولهذا كانت معرفة التوحيد والعمل به أعظم ما ينبغي على

العبد أن يحصِّله في هذه الحياة، وما أنعم الله على عبد نعمة أعظم من أن يهديه لمعرفة الطريق الموصل إليه ويوفقه لسلوكه والاستقامة عليه، فمن لم تتضح عنده معالم الطريق إلى الله انحرف عنه وهو لا يشعر، فيسلك سبل الضلالة ويحسب أنه من المهتدين، ولا شك أن الطريق إلى الله واحدٌ لا ثاني له من سلكه نجا ومن انحرف عنه خاب وخسر، وهو صراطه المستقيم ودينه القيم الذي هدى إليه نبيه واصطفاه لتبليغه للناس كافة، فمن لم يوحد الله لم يسلك طريقه، ومن لم يمت على التوحيد لن يدخل جنته، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

ولأهمية هذا الأمر سعينا في كتابة هذه الرسالة محاولةً منَّا لإحياء ما اندثر من معالم الإسلام وأصوله العظام، رجاء أن ينتبه الناس من غفلتهم، ويستيقظوا من رقدتهم، ويصير أكبر همّهم وأعظم شغلهم أن يعبدوا الله مخلصين له الدين كما شرع، ويتحرروا من كافة ألوان العبودية لغيره.

نسأل الله أن يبارك في هذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يُيسِّر أمرنا ويعيننا ويوفقنا ويهدينا ويسددنا ويغفر لنا، وأن يتقبل منَّا ومن

إخواننا الذين ساهموا في إعداد هذه الرسالة والذين قاموا بمراجعتها وتخريجها وتنسيقها، ويشكر لهم سعيهم ويدّخر لهم ثوابه ليوم يلقونه، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين.



ماهو الطاغوت؟



الفصل الأول

ما هو الطاغوت؟

الطاغوت مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، نقول: طَغَى فلان يَطْغَى طُغْيَانًا: إذا جاوز حَدَّه(١).

قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [طه: ٢٤]، يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد على الله، وصار ينازع رب العالمين في حقه الخالص، ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ ﴾ [الحاقة: ١١]، (طغى الماء) أي جاوز حدَّه حتى علا على كل شيء، وذلك في زمن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وقوله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ ﴾

---

(١) انظر معاجم اللغة مثل: مختار الصحاح، وتاج العروس، ولسان العرب.

[العلق: ٦ - ٧]، يعني يتجاوز حده ويستكبر على ربه[١].

ولفظ الطاغي والطغيان معروف في لهجاتنا العامية وليس لفظا غريبًا، نقول: فلان طاغٍ إذا فات حده.

فمن طغى وتجاوز الحد في العصيان والتمرد على الله، وصار ينازع رب العالمين في حقه الخالص، فهو طاغوت.

ولكي نعرف حقيقة الطاغوت معرفة جيدة، لا بد أن نعرف ما هو حد المخلوق مع خالقه الذي يجب أن يقف عنده ولا يجوز له أن يتعدّاه.

حد المخلوق مع خالقه.

من المعلوم أن الله وحده هو الخالق لكل شيء وهو المالك له، وهو رب الخلق أجمعين وسيدهم الذي بيده وحده السيادة والسلطان والتصرف والتدبير، وله وحده الأمر والحكم، وما سواه عبدٌ مخلوقٌ لا يشارك الله في شيء، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ متفردٌ عن خلقه لا يمكن لأي مخلوق مهما كان أن يشاركه في أي شيء مما يختص به، فلا شريك لله في الخلق والملك، ولا في السلطان والسيادة، ولا في التصرف والتدبير، ولا في الأمر والحكم، ولا في

(١) انظر تفسير الآيات السابقة في كتب التفسير المعروفة مثل: تفسير الطبري، والبغوي، وابن كثير.

الألوهية والعبادة، وهذا ظاهرٌ لكل ذي عقل.

والإنسان مخلوق من مخلوقات الله وعبد من عبيده، لا يستطيع أن يخرج عن حد المخلوقية فيصير خالقًا مع الله أو مالكًا من دونه، وليس له أن يخرج عن حد العبودية لله فيصير ربًّا معبودًا معه.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

يشترك الإنسان في منزلة العبودية لله مع كل المخلوقات من حوله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ۝٢٦ ﴾ [الروم:٢٦]، أي كلٌ له مطيعون مقِرُّون له بالعبودية، وقال: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝٩٣ ﴾ [مريم: ٩٣]، وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ۝٨٣ ﴾ [آل عمران: ٨٣].

فكل مخلوقٍ عبدٌ لله، لا يشارك الله في شيء، لا في الخلق والملك والسلطان، ولا في الأمر والحكم والتشريع، ولا في العبادة والطاعة.

وإذا كان السادة منَّا لا يرضون أن يشاركهم عبيدهم في أهليهم وأموالهم لأنهم خدمٌ لهم وتحت ملكهم، فالله أوْلى ألا يشاركه أحدٌ من خلقه لأنه

مالكهم وخالقهم وهم عبيده، فإذا لم نرضَ بذلك لأنفسنا فكيف نرضاه لله خالق الخلق أجمعين وربهم ومليكهم؟

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [النحل: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الروم:٢٨].

أحوال الخلق مع عبودية الله.

هل التزم الخلق كلهم بعبودية الله فلم يتجاوزوها؟

بحاجة إلى أن نعرف جواب هذا السؤال لنرى من وقف عند حد العبودية لله؟ ومن تجاوزها؟ من أخلص العبودية لله وحده؟ ومن صرف شيئًا منها لغيره؟ ومن صار شريكًا لله في ربوبيته أو ألوهيته؟

أما سائر الخلق غير الإنس والجن من السموات والأرض والملائكة والدواب والأشجار والأحجار والشمس والقمر والنجوم والجبال، كلهم التزموا حد العبودية، ووقفوا عندها، وأسلموا لله وحده.

وأما الإنس والجن فقد انقسموا إلى قسمين:

القسـم الأول: الذين لم يتجاوزوا حد العبودية لله، ولم يشركوا به شيئًا، وتبرؤوا من كل ما يُعبد من دونه، وهؤلاء هم الأقلون عددًا، قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠]، وهم أهل التوحيد الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.

القسم الثاني: الذين تجاوزوا حد العبودية لله وأشركوا معه غيره، وهم أولياء الشيطان وحزبه المشركون بالله غيره، وهم الأكثرون عددًا، ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل:٨٣].

منهم من **صار شريكًا لله** ينازعه في ربوبيته وألوهيته، فصاروا معبودين مع الله.

ومنهم الذين خرجوا عن عبودية الله إلى عبودية غيره، فصاروا **عابدين لغير الله**.

قال الله تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء: ١١٧-١١٨].

فالخروج عن عبودية الله وتوحيده لم يحصل إلا من الجن والإنس، أما سائر الخلق فقد التزموا حد العبودية ولم يخرجوا عنها، وأيضًا من الجن والإنس فريقٌ لم يخرج عن عبودية الله وحده.

والعبودية إن لم تكن كلها لله فهي لغيره، فمن خرج عن عبودية الله وحده إما أن يصير عابدًا لغير الله أو يصير معبودًا من دونه، فإن صار معبودًا من دون الله فهو طاغوت.

فالطاغوت هو من تجاوز حدَّ العبودية لله وتعدَّى على حق الربوبية والألوهية لخالق السموات والأرض وصار شريكًا لله.

وبهذا المعنى ورد ذكر الطاغوت في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ:

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٦-٢٥٧].

نلاحظ في الآية الأولى أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكر شرطًا وجزاءً لمن أتى بهذا الشرط، أما الشرط فقوله: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾، وأما جزاء هذا الشرط فقوله: ﴿ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ

﴿لَهَا﴾، والعروة الوثقى هي الإسلام، أو هي لا إله إلا الله، والمعنى واحد؛ لأن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو حقيقة الإيمان بلا إله إلا الله، وهي أصل الإسلام الذي لا يصح إلا به.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧﴾ [الزمر: ١٧].

هذه الآيات الثلاث يُفهم منها أن الطاغوت هو **كل ما عُبد من دون الله.**

وبهذا المعنى العام للطاغوت جاء تفسير العلماء من الصحابة والتابعين وغيرهم:

قال ابن جرير الطبري في تفسيره: [والصواب من القول عندي في **الطاغوت أنه كل ذي طغيانٍ على الله، فعُبد من دونه، إما بقهرٍ منه لمن عبده، وإما بطاعةٍ ممن عبده له، إنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء.**

وأرى أن أصل الطاغوت: الطَّغَوُوتُ، من قول القائل: طغا فلانٌ

يطغو: إذا عَدَا قدْره، فتجاوز حدّه][1] ا.هـ.

قال ابن كثير: [وقوله: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ أي من خلع **الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله**، ووحَّد الله فعبَده وحده، وشهد أن لا إله إلا هو ﴿ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾ أي: فقد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم..

وقال بعد أن ذكر قول عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في الطاغوت بأنه الشيطان، قال: ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان قوي جدًا فإنه يشمل كل شرٍّ كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها][2] ا.هـ.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠ ﴾ [النساء:٦٠].

المراد بالطاغوت في هذه الآية: هو من يتحاكم إليه الناس فيحكم بينهم

---

(١) انظر تفسير الطبري، عند الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٢) تفسير ابن كثير.

برأيه وهواه أو بأحكام وقوانين وتشريعات لم يأذن بها الله، ولا يرجع في حكمه إلى شرع الله وحده.

فالتحاكم يجب أن يكون لشرع الله وحده لأن هذا من مقتضى عبودية الله وحده، ومن تُحوكِم إليه من حاكم بغير ما شرع الله فهو طاغوت.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ...﴾ [النساء: ٦٠]: [هذا إنكار من الله عَزَّوَجَلَّ على من يدّعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذُكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد. وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكّام الجاهلية. وقيل غير ذلك، والآية أعمُّ من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عَدَل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هنا، ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾][1] ا.هـ.

---

(١) تفسير ابن كثير.

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين: [ثُمّ أخبر سبحانه أن مَن تحاكم أو حاكَم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حَكَّم الطاغوت وتحاكم إليه. والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده مِن معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كُل قوم مَن يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه مِن دون الله، أو يتّبعونه على غير بصيرة مِن الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالَم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله ورسوله إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته][(١)] ا.هـ.

وقال ابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾:

[يعني إلى من يعظِّمونه ويصدُرُون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله.

وقال: وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت في رجل من المنافقين دعا رجلًا من اليهود في خصومة كانت بينهما إلى بعض الكهّان ليحكم بينهم، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين.

وقال: عن ابن عباس: الطاغوت رجل من اليهود كان يُقال له (كعب بن الأشرف)[(١)]، وكانوا إذا ما دُعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ليحكم بينهم، قالوا: بل نحاكمكم إلى كعب، فذلك قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾][(٢)] ا.هـ.

روى المَرْوَزي وغيره في سبب نزول هذه الآية: [عن الشعبي قال: كان رجل من الأنصار ممن يزعُم أنه مسلمٌ بينه وبين رجل من اليهود خصومة، فجعل الذي من الأنصار يدعو اليهودي إلى أن يحاكمه إلى أهل دينه؛ لأنه قد علم أنهم يأخذون الرِشوة في الحكم، وكان اليهودي يدعوه إلى أن يُحاكم إلى النبي ﷺ أو قال: إلى المسلمين؛ لأنه قد علم أنهم لا يأخذون الرِشوة في الحكم، فاتفقا على أن يتحاكما إلى كاهنٍ من جهينة، فنزلت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ أي إلى الكاهن، ﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ قال: أُمر هذا في كتابه (الذي يزعم أنه مسلم)، وأُمر هذا في كتابه (اليهودي)][(٣)] ا.هـ.

---

(١) رجل من اليهود من رؤسائهم وأحبارهم، كان مطاعًا في قومه، وكانوا يحتكمون إليه.

(٢) تفسير الطبري.

(٣) كتاب تعظيم قدر الصلاة للمَرْوَزِي، ورواه الطبري أيضًا.

قال البخاري: [وَقَالَ جَابِرٌ: كَانَتِ الطَّوَاغِيتُ الَّتِي يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا: فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، كُهَّانٌ(١) يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ](٢) ا.هـ.

والكُهّان نوع من أنواع الطاغوت؛ لأن العرب في الجاهلية كانوا يرجعون إليهم فيما تنازعوا فيه لحل خصوماتهم وفض نزاعهم، فيحكمون بينهم بما يرونه.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ [النساء: ٥١].

ذكر ابن جرير الطبري في تفسير الجبت والطاغوت أقوالًا منها:

[عن ابن عباس: الجبت الأصنام، والطاغوت الذين يكونون بين أيدي الأصنام يعبّرون عنها الكذب ليضلوا الناس.

وذكر عن مجاهد: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان في صورة إنسان

---

(١) الكُهّان: جمع كاهن، وهو الذي يدَّعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن، منهم من يزعم أن له رفقاء من الجن وتابعة تُلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يدَّعي أنه يعرف الأمور بفهم أُعطيه، ومنهم من كان يستعمل الأقداح.

(٢) صحيح البخاري.

يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم.

وذكر عن الضحّاك: الجبت حُييٌّ بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف.

وقال الطبري: والصواب من القول في تأويل ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ أن يقال: يصدِّقون بمعبودَيْن من دون الله يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما إلٰهين.

وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة أو خضوع له، كائنًا ما كان ذلك المعظم من حجرٍ أو إنسانٍ أو شيطانٍ.

وإذ كان ذلك كذلك وكانت الأصنام التي كانت الجاهلية تعبدها كانت معظمة بالعبادة من دون الله فقد كانت جُبُوتًا وطواغيت، وكذلك الشياطين التي كانت الكفار تُطيعها في معصية الله، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولًا منهما ما قالا في أهل الشرك بالله، وكذلك حُييٌّ بن أخطب وكعب بن الأشرف؛ لأنهما كانا مطاعين في أهل ملتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله، فكانا جِبتين وطاغوتين][1] ا.هـ.

أما ما جاء من ذكر الطاغوت في سنة رسول الله ﷺ فقد روى

(١) تفسير الطبري.

البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «.. يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ...»[(١)].

قوله ﷺ: «وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ»، الطاغوت هنا هو ما يُعبد من دون الله، يدخل في ذلك الأصنام والأوثان والشيطان وكل من رضي أن يُعبد من دون الله. قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢-٢٣].

قال النووي: [قوله: «الطَّوَاغِيتَ» هو جمع طاغوت، قال الليث وأبو عبيدة والكِسائي وجماهير أهل اللغة الطاغوت كل ما عُبد من دون الله تعالى، وقال ابن عباس ومقاتل والكلبى وغيرهم الطاغوت الشيطان، وقيل هو الأصنام][(٢)] ا.هـ.

التعريف الجامع للطاغوت.

من خلال ما سبق يمكن أن نعرِّف الطاغوت تعريفًا جامعًا يشمل كل

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي.

أنواعه:

الطاغوت: **هو كل من تجاوز حد العبودية لله، وتعدَّى على حق الربوبية والألوهية، وصار شريكًا لله ينازعه في حقه الخالص.**

وهذه قمة الطغيان لأنه بذلك قد تجاوز حدّ نفسه، وحدّ غيره من الخلق، وتعدى على حق ربه، فأي طغيان أعظم من هذا؟

أما مجاوزته حدّ نفسه: فحدّه أن يكون عبدًا لله، فتجاوز هذا الحدّ وصار معبودًا من دون الله.

وأما مجاوزته حدّ غيره من الخلق: فحدّهم أن يكونوا عبيدا لله، فتجاوز هذا الحدّ وأخرجهم من عبودية الله وعبَّدهم لنفسه.

وأما تَعَدِّيه على حق الله: فحق الله أن تكون العبادة كلها خالصة له وحده، فتعدى هذا الحق وصار نِدًّا لله، يُعبد من دونه، ويُشرك معه في خصائص ألوهيته.

هذه هي حقيقة الطاغوت، أو لِنَقُلْ حقيقة الطغيان الذي صار به المخلوق الحقير طاغوتًا، وهي قمة الطغيان والتمرد على الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا التعريف الجامع هو خلاصة ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو الجامع لأقوال أهل العلم.

وهذا ما ذكره الإمام الطبري بقوله: [والصواب من القول عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيانٍ على الله، فعُبد من دونه، إما بقهرٍ منه لمن عبده، وإما بطاعةٍ ممن عبده له، إنسانًا كان ذلك المعبود، أو شيطانًا، أو وثنًا، أو صنمًا، أو كائنًا ما كان من شيء][1] ا.هـ.

وقال ابن تيمية: [والطاغوت فعلوت من الطغيان،... والطغيان مجاوزة الحد، وهو الظلم والبغي. فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارهًا لذلك طاغوت؛ ولهذا سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لمّا قال: «وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ». والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتّباع غير الهدى ودين الحق، سواءٌ كان مقبولًا خبره المخالف لكتاب الله، أو مطاعًا أمره المخالف لأمر الله، هو طاغوت؛ ولهذا سُمي من تُحوكم إليه من حاكم بغير كتاب الله طاغوت، وسَمّى الله فرعون وعادًا طغاةً][2] ا.هـ.

وقال أيضًا: [والطاغوت كل مُعَظَّم ومتعظِّم بغير طاعة الله ورسوله؛ من

(١) تفسير الطبري.

(٢) مجموع الفتاوى.

إنسان، أو شيطان، أو شيء من الأوثان][١] ا.هـ.

وأيضًا هو ما ذكره الإمام ابن القيم بقوله: [والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حدّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ][٢].

وهو أيضًا ما ذكره أئمة اللغة بقولهم: [الطاغوت هو ما عُبد من دون الله وكلُ رأسٍ في الضلالة][٣].

وما ذكره أبو عبيدة وابن قتيبة: [كلُّ معبود من حَجرٍ أو مَدَرٍ[٤] أو صورةٍ أو شيطانٍ فهو جِبْتٌ وطاغوت][٥].

وما ذكره محمد بن عبد الوهاب بقوله: [الطاغوت عامٌّ، فكُل ما عُبد من دون الله، ورضي بالعبادة، من معبود أو متبوع أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت][٦].

وما ذكره سليمان بن عبد الله: [والطاغوت كل من تعدى به حده من

---

(١) قاعدة في المحبة لابن تيمية.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين.

(٣) انظر شرح صحيح مسلم للنووي وتاج العروس للجوهري.

(٤) المَدَرُ: قِطَعُ طينٍ يابِس.

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثني التيمي، والغريب لابن قتيبة.

(٦) الدرر السنية في الأجوبة النجدية.

الطغيان وهو مجاوزة الحد، فكل ما تحاكم إليه متنازعان غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو طاغوت إذ قد تعدى به حده. ومن هذا كل من عبد شيئًا دون الله فإنما عبد الطاغوت، وجاوز بمعبوده حدَّه فأعطاه العبادة التي لا تنبغي له، كما أن من دعا إلى تحكيم غير الله تعالى ورسوله ﷺ، فقد دعا إلى تحكيم الطاغوت][1] ا.هـ.

هذه التعريفات العامة للطاغوت كلها بمعنى واحد، وهي تعريف جامع وحَدٌّ ضابط، يجمعها حقيقة واحدة هي: مجاوزة حد العبودية والتعدي على حق الربوبية والألوهية الخالص لله وحده.

وهناك من يُعرِّف الطاغوت بأنه: الشيطان، أو الصنم، أو سدنة الأصنام والقائمون عليها، أو الكاهن، أو الساحر، أو كعب بن الأشرف، أو حُيي بن أخطب، أو الحاكم بغير حكم الله، أو المشرِّع من دون الله، أو المغيِّر لأحكام الله.

وهذا لا يختلف عن التعريف الأول الجامع الذي يُبيّن الحد الضابط للطاغوت، بل إن كل هذه الأنواع المذكورة تدخل ضِمنًا في التعريف الأول، وهي من باب ذِكر النوع على سبيل التمثيل، لا على سبيل الحد المطابق

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد.

للمحدود في عمومه وخصوصه، وكل نوع من الأنواع السابقة تمثلت فيه حقيقة الطغيان الذي يصير به طاغوتًا، فالكاهن نوع من أنواع الطاغوت وليس الطاغوت محصورًا فيه، وكذلك كعب وحُيي اليهوديان، والطاغوت عام يشمل كل هذه الأنواع وغيرها.

أنواع الطاغوت.

صور وأشكال الطاغوت التي يتمثل فيها في الواقع كثيرة ومتنوعة، ويستطيع كل عاقلٍ أن يتعرف عليها ويميِّزها في واقعه من خلال معرفة ثلاثة أمور:

١- أن الربوبية بحقوقها ومعانيها من الخلق والملك والسيادة والسلطان والقوامة والتدبير والأمر والنهي والحكم والتشريع والتحليل والتحريم خالصة لله وحده، وأن الألوهية التي هي العبادة والطاعة أيضًا خالصة لله وحده.

٢- أن كل ما سوى الله مشتركون في أمر واحد وهو العبودية لله وحده، وهي الحد الذي لا ينبغي لأحد منهم أن يتجاوزه ويتعداه.

٣- أن من تجاوز حد العبودية لله ونازع الله في حقه الخالص بالربوبية والألوهية على الخلق أجمعين، فهو طاغوت يجب الكفر به.

فمن عرف هذه الأمور الثلاثة استطاع أن يعرف الطاغوت في أي صورة يكون فيها في واقعه الذي يعيشه، فكل من تجاوز حد العبودية لخالقه ومالكه وجعل من نفسه ندًّا لله يشاركه في شيءٍ مما يختص به دون خلقه فهو نوع من أنواع الطاغوت.

فلو وُجِد من يدَّعي أنه يخلق كخلق الله فهو طاغوت.

ومن ادَّعى الملك لنفسه وأنه يملك شيئًا مع الله ملكًا مستقلًا فهو طاغوت.

ومن اعتُقِد فيه أنه ينفع ويضر من دون الله ورضي بذلك فهو طاغوت.

ومن ادَّعى أنه يعلم من أمور الغيب ما لا يعلمه مثله من البشر من غير أن يعلِّمه الله فهو طاغوت.

ومن ادَّعى أن له الحق في الحكم والتشريع مع الله فهو طاغوت.

ومن رضي أن يُعبد من دون الله فهو طاغوت.

وكل رأس في الضلالة يدعو لعبادة غير الله وتحكيم غير شريعة الله فهو طاغوت.

والذين يشرِّعون للناس ما لم يأذن به الله، ويحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحله، طواغيت.

هذه بعض أشكال الطاغوت، ولايزال هناك صورًا وأشكالًا أخرى تتجسد فيها حقيقة الطغيان على الله وادِّعاء حق الربوبية والألوهية من دون الله، لا تخفى على من عرف ماهية الطاغوت.

ورأس الطواغيت الشيطان إبليس - عليه لعنة الله - فهو أصل كل طغيان على الله، وقد كان اللعين في بداية أمره عابدًا لله وحده مجتهدًا في عبودية ربه، فخرج عن عبودية الله بامتناعه واستكباره عن أمره له بالسجود لآدم، فلعنه الله وآيسه من رحمته وعفوِه، وطرده من الجنة وحرَمه منها إلى الأبد، وجعله شيطانًا رجيمًا، فتوعَّد أن يغوي أكثر بني آدم ويُعبِّدهم لنفسه، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء: ١١٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢]، ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ ﴾ أي لأستولينَّ على ذرية آدم، ولأقودنَّهم لطاعتي إلا قليلًا.

وقد سلك الشيطان سبلًا كثيرة لإخراج العباد من عبادة الله وحده إلى عبادته هو، قال الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧]، قعد للناس على طريق الإسلام يصدّهم عنه،

ويشككهم فيه، ويصعِّبه عليهم، ويضلّهم عن الحق والهدى، ويُمنِّيهم بأنهم مهتدون، قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

ويأمرهم بتغيير دين الله، فيُحِلُّوا ما حرم الله ويحرموا ما أحله، ويشرعوا لأنفسهم من دونه، قال تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النساء: ١١٩].

ويدعوهم إلى الاحتكام إلى غير شريعة الله، ويزيِّنه لهم، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٠].

وبهذا استطاع اللعين أن يبدّل دين الإسلام، ويُخرج الناس من عبادة الله وحده إلى دين الشرك وعبادة غير الله واتخاذ الأنداد والشركاء مع الله؛ فليس أحد أحق منه باسم الطاغوت.

من عُبِدَ من الملائكة والأنبياء والصالحين لا يدخلون في مسمى الطاغوت.

ربما يقول قائل: إذا كان كلُ ما عُبد من دون الله فهو طاغوت، فمن المعلوم أن من الملائكة والأنبياء والصالحين من عُبد من دون الله، فهل يدخل هؤلاء في مسمى الطاغوت؟

ولتوضيح هذه المسألة نقول:

من خلال التعريف السابق للطاغوت بأنه كل من تجاوز حد العبودية لله وتعدى على حق الله الخالص في ربوبيته وألوهيته، نرى أن الملائكة والأنبياء والصالحين لا يدخلون ضمن هذا المعنى للطاغوت، وهم بريئون كل البراءة من الطغيان على الله ومجاوزة حد العبودية له، وذلك لثلاثة أمور:

الأول: أن الملائكة والأنبياء والصالحين لم يتجاوزوا حدّ العبودية لله، بل أخلصوا العبادة كلها لله، ولم يشركوا به شيئًا، وكفروا بما يُعبد من دونه، وكانوا أشد الخلق حرصًا على لزوم حدّ العبودية، وما تمثلت حقيقة العبودية لله في أحد من الخلق كما تمثلت في أنبياء الله وأتباعهم والملائكة.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

الثـــاني: أن الملائكة والأنبياء والصالحين بريئون كل البراءة مما اعتقده الكفار فيهم ومما صرفوا لهم من العبادة، متبرئون ممن عبدهم من دون الله وأشركهم به، كارهون مبغضون للشرك وأهله.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفرقان: ١٧- ١٨].

قال ابن كثير: [يقول تعالى مخبرًا عما يقع يوم القيامة من تقريع[١] الكفار في عبادتهم من عَبدوا من دون الله، من الملائكة وغيرهم، فقال: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، قال مجاهد: هو عيسى والعزير والملائكة. ﴿ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ﴾، أي: فيقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للمعبودين أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني،

---

(١) التقريع: التوبيخ والتعنيف.

أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم، من غير دعوة منكم لهم،.. ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾.. أي: ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدًا سواك، لا نحن ولا هم، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرِنا ولا رضانا، ونحن بُرَآء منهم ومن عبادتهم][1] ا.هـ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

الأمر الثالث: أن الجن والشياطين هم الذين أمروا المشركين وزيّنوا لهم عبادة الملائكة والأنبياء والصالحين، فالجن والشياطين هم المعبودون في الحقيقة من دون الله.

قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ۝٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، يقول الله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) تفسير ابن كثير.

للملائكة أأنتم أمرتم عبادي أن يعبدوكم، فتقول الملائكة: ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾، أي نحن براء منهم من أن نأمرهم أن يعبدونا، ﴿ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾، يعني بل أطاعوا الجن والشياطين في عبادتهم إيانا، فهم مصدقون للشياطين مطيعون لهم.

فالشياطين هم الذين يدخلون في مسمى الطاغوت؛ لأن لولاهم ما عُبدت الملائكة والأنبياء من دون الله، فالذين يعبدون الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين هم في الحقيقة ما يعبدون إلا الشيطان، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤١]، وقال: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ [النساء: ١١٧].

فكل من عُبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره فلا يدخل في مسمى الطاغوت، ولا يُعذب بالنار لعبادة غيره له، مع نهيه عن ذلك وعدم رضاه به.

❊❊❊



الفصل الثاني

كيف نكفر بالطاغوت؟



الفصل الثاني

كيف نكفر بالطاغوت؟

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

جعل الله في هذه الآية الكفر بالطاغوت مقدَّمًا على الإيمان بالله، وذلك لأنه من غير الممكن أن يؤمن أحد بأن الألوهية والربوبية كلها لله دون أن يكفر بربوبية وألوهية غيره، فلا بد من الكفر بالطاغوت أولًا ليصح الإيمان بالله ربًّا وإلهًا واحدًا.

ومدار دعوة الرسل جميعًا على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ ﴾ [النحل: ٣٦]، وهو أول ما يبدؤون به: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ هو حقيقة الإيمان بالله، ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ هو الكفر بألوهية غير الله أي الكفر بالطاغوت.

والكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ

سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧]، فقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ هو معنى الكفر بالطاغوت، ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي إلا الذي خلقني، تبرأ من كل ما يُعبد من دون الله وعبد الله وحده.

وقال تعالى عن خليله محمد ﷺ: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام: ١٩]، فقوله: ﴿قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾، هو معنى وحقيقة الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

والكفر بالطاغوت يعني الكفر بربوبية وألوهية غير الله، أو الكفر بكل ما يُعبد من دون الله، أو الكفر بالآلهة والأنداد والأرباب والشركاء وسائر المعبودات من دون الله، أي إنكارها ورفضها واجتنابها والبراءة منها وممن عبدها.

ويمكن أن نلخص كيفية الكفر بالطاغوت في ثلاث نقاط رئيسة:

١- الاعتقاد ببطلان ربوبية وألوهية أي أحد غير الله.

٢- رفض وإنكار واجتناب أي تأليه لغير الله بالاعتقاد والقول والعمل.

٣- البراءة من كل من جعل شيئًا من خصائص الربوبية أو الألوهية لغير الله.

هذه الثلاث من حققها فقد حقق الكفر بالطاغوت، وسوف نبين - بعون الله - كل نقطة منها.

أولًا: اعتقاد بطلان ربوبية وألوهية غير الله.

اعتراف العبد بأنه لا خالق له ولهذا الكون كله إلا الله الواحد القهار هو البرهان القاطع على بطلان ربوبية وألوهية غير الله، فكل ما سوى الله عبد لخالقه لا يشارك ربه في شيء، ولا يملك معه مثقال ذرة، والله وحده هو رب الخلق جميعًا ووليهم ومعبودهم.

قال الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩١].

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [النحل:١٧].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٠٠ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٠- ١٠٢].

والاعتقاد ببطلان ربوبية وألوهية غير الله يدخل فيه:

اعتقاد بطلان الشفعاء والوسطاء الذين اتخذهم الناس أولياء لهم من دون الله.

واعتقاد بطلان كل ما يعبد من دون الله من إنس أو جن أو شجر أو حجر أو قبر أو ضريح أو غيره.

واعتقاد بطلان كل عبادة صُرفت لغير الله، وأنها شرك بالله وكفر به وبدينه.

واعتقاد بطلان كل حكم يخالف ما أنزل الله، وكل تشريع لم يأذن به الله، وكل تحليل لما حرم الله، وكل تحريم لما أحله الله.

واعتقاد بطلان كل دين غير دين الإسلام.

واعتقاد بطلان كل نظام لا يقوم على توحيد الله وليًّا وربًّا وحَكَمًا.

والجامع لذلك أن كل ما لا ينبغي إلا لله لا بد من اعتقاد بطلانه لغيره.

ثانيًا: رفض وإنكار واجتناب أي تأليه لغير الله بالاعتقاد والقول والعمل.

ليس المقصود بتأليه غير الله أن يُجعل المخلوق إلهًا مساويًا لله في كل شيء، بل المقصود أن يُجعل المخلوق ندًّا مشاركًا لله في شيء من خصائص الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يشاركه أحدٌ من خلقه بل هو الواحد الأحد الفرد الصمد، وكل ما سواه هم خلقُه وعبيده.

فمن صرف لغير الله شيئًا من خصائص الربوبية أو الألوهية بالاعتقاد أو القول أو العمل فقد اتخذ ربًّا وإلهًا من دون الله، وهذا تأليهٌ لغير الله، ولا يكون العبد مؤلِّهًا لله وحده حتى يرفض ويجتنب تأليه غيره كائنًا من كان.

ومن تأليه غير الله التوجه بشيء من العبادة لغير الله لملَكٍ أو نبيٍّ أو رجلٍ صالحٍ أو جنٍ أو شيطانٍ أو شجرٍ أو حجرٍ، وهذا هو دين المشركين، فالمشركون الذين بعث الله إليهم رسله كانوا يؤلِّهون غير الله، فقوم نوح - مثلًا - كانوا يؤلهون مع الله ودًّا وسُوَاعًا ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا، وهم أسماء رجال صالحين، ولمّا دعاهم نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لتوحيد الله كان أول ما قال لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، فعرفوا أنه يريد منهم أن يتركوا تأليه غير الله، فقام أكابر القوم في وجه هذه الدعوة

وأخذوا يحرِّضون على التمسك بآلهتهم وعدم تركها، ويصِفون دعوة التوحيد بالضلال، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

وتأليه غير الله ليس محصورًا في التوجه بالشعائر التعبدية لغير الله بل في مظاهر أخرى كثيرة، فأيُّ شيءٍ خالص لله وحده صَرْفُه أو التوجه به لأحد غيره تأليهٌ له من دون الله، كإعطاء حق التشريع لغير الله، أو قبول التحليل والتحريم من غير الله، أو طاعة المشرعين واتِّباعهم فيما شرعوه بغير إذن الله، أو الحكم بين الناس بأحكام وتشريعات غير الله، أو التحاكم إلى شرع غير الله، كل هذا تأليه لغير الله.

ولا يكفي لتحقيق الكفر بألوهية غير الله اعتقاد بطلانها، بل لا بد مع ذلك من اجتنابها والبراءة منها.

ومن الأشياء التي يجب رفضها وإنكارها واجتنابها لأنها تأليهٌ لغير الله:

١- **اجتناب أي عبادة لغير الله**، كدعاء غير الله، والاستغاثة بغير الله، والذبح والنذر والطواف لغير الله، ومحبة الأنداد من دون الله، والخوف والخشية والتعظيم والخشوع لغير الله، والتوكل على غير الله، والركوع والسجود لغير الله.

٢- اجتنــاب أي شرع لم يأذن بــه الله وعــدم اتّباعــه، قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣ ﴾ [الأعراف: ٣]، ذلك لأن القبول والانقياد لأي تشريع من غير الله تأليهٌ لغير الله، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١ ﴾ [الأنعام: ١٢١].

٣- اجتناب الحكم بالأحكام والقوانين والشرائع التي هي من عند غير الله، لأن الحكم بهذه القوانين إيمانٌ بها وبمن شرعها، وهو إيمان بالطاغوت وكفرٌ بالله، فالإيمان بالله لا يصح مع اتخاذ غيره حكمًا، قال تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال: ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠ ﴾ [المائدة: ٥٠].

٤- اجتناب التحاكم لغير حكم الله ورسوله، لأن التحاكم لمن يحكم بأحكام الجاهلية والأعراف الدولية والقوانين الوضعية وشرائع

المشرّعين من دون الله هو إيمان بهذه الأحكام والشرائع، وإيمان بمن شرّعها، وهذا إيمان بالطاغوت وكفر بالله، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [النساء: ٦٠].

٥- رفض وإنكار واجتناب أي ولاء لغير الله، وهو الولاء على غير دين الإسلام، كالولاء للقومية أو الوطنية أو الولاء للحزب أو الولاء للحكام والرؤساء المشرعين من دون الله الحاكمين بغير شريعة الله.

والولاء لا يكون إلا لله، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الشورى: ٩].

ثالثًا: البراءة من كل من جعل شيئًا من خصائص الربوبية أو الألوهية لغير الله.

من جعل شيئًا من خصائص الربوبية أو الألوهية لغير الله فقد أشرك بالله وآمن بالطاغوت من دون الله، ولا يصح الكفر بالطاغوت إلا بتكفيره وتكفير أوليائه وعبيده الذين آمنوا به من دون الله، فالكفر بالطاغوت كفر به وبعبادته وبأوليائه وعابديه، لا يستقيم أحدها دون الباقي، هذا هو دين الأنبياء جميعًا، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٤]، إلى قوله: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٨- ٧٩].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الكافرون].

فلا يستقيم ولا يصح البراءة من المعبودات الباطلة دون البراءة من عبادتها، وأيضًا لا يستقيم ولا يصح البراءة منها ومن عبادتها دون البراءة ممن اتخذها آلهة وصرف لها من العبادة ما لا ينبغي إلا لله.

وليست البراءة من المعبود بأولى من البراءة من عابده، لأن المخلوق لا يصير إلهًا معبودًا إلا بوجود من يؤلِّهُه ويشركه مع الله ويعبده من دونه.

مثلًا: هذه الأضرحة التي تُعبد اليوم من دون الله، لولا ما يفعله المشركون عندها، وما يعتقدونه فيها، لما زاد عن كونها قبورًا لأناس كانوا أحياءَ يأكلون ويشربون، ويحتاجون لما يحتاج إليه البشر الضعفاء، فماتوا وقُبروا في هذه القبور وهي كغيرها من سائر القبور الأخرى، ولكن المشركين عظَّموها وغَلَوا في محبة أصحابها حتى عبدوهم مع الله، فصارت آلهة تعبد مع الله الواحد الأحد وطواغيت تقدّس من دونه.

فهل تستقيم البراءة منها دون البراءة ممن اتخذها وصيَّرها آلهة من دون الله؟

هل يصح أن نكفر بهذه الأضرحة ونعتقد أنها لا تستحق شيئًا من العبادة وأن عبادتها من دون الله ضلال مبين وكفر وشرك بالله العظيم، ولا نعتقد كفر وضلال من عبدها من دون الله؟!

هل يصح أن نجعل من يكفر بهذه الأوثان كمن يؤمن بها ويؤلِّهُها

كلاهما على دين واحد؟!

لا شك أن هذا باطل لا يصح أبدًا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٩].

فمن جعل الألوهية والربوبية لغير الله فهو كافرٌ مشركٌ لا يصح الكفر بالطاغوت إلا بتكفيره والبراءة منه.

وهذا عين ما كان يفعله الداخل في الإسلام في زمن الرسول ﷺ، فقد كان الناس زمن بعثته ﷺ في جاهلية جهلاء، وكان لكل قوم طاغوتهم الذي يؤلهونه من دون الله، فكانت الأصنام والأوثان منتشرة في كل مكان، يعبدونها من دون الله بالدعاء والحب والخوف والرجاء والذبح والطواف والنذر وغيرها، ويعتقدون أنها تشفع لهم عند الله، ويتقربون بعبادتها إلى الله، وكان لهم شركاء يشرّعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله، وكانوا يتحاكمون إلى السحرة والكهان والمنجمين.

فجاءهم رسول الله ﷺ بدعوة التوحيد المتمثلة في الكفر بهذه الطواغيت والإيمان بالله وحده، فكان الداخل منهم في الإسلام أول ما

يفعله يكفر بجميع الآلهة والأرباب المعبودة من دون الله.

فبعد أن كانوا يعتقدون أن هذه الأصنام والأوثان تنفع وتضر وتشفع لهم عند الله، وأن عبادتها تقربهم إلى الله، صاروا يعتقدون أن الربوبية والألوهية لله وحده، وأن هذه الأصنام والأوثان لا تنفع ولا تضر ولا تشفع لهم عند الله، وأن عبادتها شرك بالله، وتركوا عبادتها وهجروها وأبغضوها، وأخلصوا العبادة لله وحده.

وأيضًا كانوا في الجاهلية يحلون ما يحل لهم شركاؤهم ويحرمون ما يحرمونه عليهم، ويَقبَلون ما يشرّعون لهم ويتّبعونه، فكفروا بأولئك المشرعين من دون الله، ورفضوا تشريعاتهم، وخرجوا عن طاعتهم إلى طاعة الله ورسوله.

وكانوا يحتكمون إلى الكهنة والسحرة والمنجمين، فتركوا الاحتكام إليهم وجعلوا الحكم لله ورسوله.

وكانوا يوالون على الشرك، ويرون أنهم وقومهم على حق، وأن هذه ملة الآباء والأجداد، فصاروا يعتقدون بطلان ما كانوا عليه، وكفَّروا قومهم وآباءهم وأجدادهم، وصار التوحيد هو الفارق بينهم وبين أقوامهم ومن حولهم.

هكذا حققوا الكفر بالطاغوت استجابة منهم لما تُمليه عليهم عقيدة

التوحيد والإيمان بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وبهذه الكيفية يتحقق الكفر بالمعبودات الباطلة اليوم وفي كل زمان، وهذا هو الركن الأول من التوحيد (**لا إله** إلا الله).

الإيمان بالله.

الإيمان بالله هو الركن الثاني من التوحيد (لا إله **إلا الله**) وهو إثبات الألوهية لله وحده، أي إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله وحده، ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ويتحقق الإيمان بالله بما يلي:

١- الاعتقاد الجازم أن الربوبية والألوهية لله وحده لا شريك له.

٢- إخلاص العبادة بجميع أنواعها الظاهرة والباطنة لله وحده، وعدم التوجه بشيء منها لغيره.

٣- الاحتكام لله وحده في كل شيء، واتّباع ما شرعه ورَفْض ما خالفه.

٤- أن يكون الولاء لله ودينه ورسوله والمؤمنين.

ولا يتحقق الإيمان بالله إلا بالاعتقاد والقول والعمل جميعًا، فإذا غاب الاعتقاد وحده فهو كفر نفاق، وإذا غاب القول أو العمل فهو كفر ظاهر.

حكم من يقول (لا إله إلا الله) ويدَّعِي الإسلام ولم يكفر بالطاغوت.

كلمة (لا إله إلا الله) هي أصل الإسلام الذي بعث الله به جميع رسله، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وليس المراد من بعثة الرسل دعوة الناس أن يتلفظوا بهذه الكلمة فيصيروا مسلمين من غير أي شيء آخر، بل المراد هو دعوة الناس ليعبدوا الله وحده ويكفروا بما يعبدون من دونه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾ [النحل: ٣٦]، فالذين أجابوا دعوة الرسل فعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هم المهتدون، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر: ١٧- ١٨].

والضالون هم الذين لم يستجيبوا لهذه الدعوة فلم يجتنبوا الطاغوت ولم يتركوا ما كانوا يعبدون من دون الله، والضال هو الذي حاد عن طريق الحق، وسار على طريق خاطئ.

والطريق الحق هو الإسلام، وهو طريق الأنبياء والمرسلين، وأساسه الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، الرشد هو طريق الحق، والغي هو طريق الضلال.

فالإنسان لا يكون مسلمًا حتى يؤمن بأنه لا إله إلا الله، والإيمان بأنه لا إله إلا الله لا يتحقق بمجرد أن يقولها الإنسان بلسانه بل لا بد من الاعتقاد والقول والعمل، قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٦٤ ﴾ [آل عمران: ٦٤]. فهذه الآية تبين المعنى الصحيح لكلمة التوحيد، ومتى يكون العبد مؤمنًا بها، فالكلمة السواء هي لا إله إلا الله، ولا يؤمن بها إلا من حقق هذه الثلاث: ﴿ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾، ﴿ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾، ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾.

جاء في صحيح مسلم: عَنْ أَبِي مَالِكٍ عَنِ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ

وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[(١)]، وفي رواية أخرى لهذا الحديث: «مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حُرِّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

ولمسلم أيضًا: عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ، وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، فالكلمة الباقية هي لا إله إلا الله، والإيمان بها لا يتحقق إلا بالبراءة من كل ما يُعبد من دون الله وإخلاص العبادة لله وحده.

وقال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه مسلم.

ولا إله إلا الله تنفي الألوهية عن غير الله، وهذا هو الكفر بالطاغوت، فمن لم يكفر بألوهية غير الله لم ينفِ ما نفته كلمة التوحيد فلا يكون مؤمنًا بها؛ لأن الإيمان بها هو نفي ما نفته وإثبات ما أثبتته بالاعتقاد والقول والعمل، هذا لا يشك فيه مسلم.

أما الذين يقولون لا إله إلا الله ويحسبون أنفسهم مسلمين وهم لا يكفرون بالطاغوت هم في الحقيقة يقولون كلمة لا يعرفون معناها ولا يؤمنون بها، بل يقولونها وهم بها كافرون، فلا ينفعهم قولها مع عدم الإيمان بها.



مظاهر الإيمان بالطاغوت



الفصل الثالث

مظاهر الإيمان بالطاغوت

الإيمان بالطاغوت هو الإيمان بأن لله شريكًا في ربوبيته أو ألوهيته، وقد يكون بالاعتقاد وحده أو القول أو العمل، وقد يكون بالاعتقاد والعمل، وليس معنى هذا أن يُجعل أحدٌ من الخلق شريكًا لله مساويًا له في كل شيء، وإنما المراد أن يُجعل غير الله شريكًا لله في شيءٍ من خصائصه سبحانه، ولو كان شيئًا واحدًا، فمتى جُعل غير الله شريكًا لله في الخلق، أو الأمر، أو الملك، أو التشريع، أو الحكم، أو الطاعة، أو الولاء، أو التعظيم، أو الحب، أو الخوف، أو الرجاء، أو الدعاء، أو الذبح، أو الركوع، أو السجود؛ فقد صار إلهًا وربًّا من دون الله، وهو الطاغوت الذي يجب الكفر به والإيمان بالله وحده.

من عرف هذا ثم تأمل في الواقع من حوله لم تَخْفَ عليه مظاهر الطغيان على الله، وصور الإيمان بالطاغوت والكفر بالله، وربما وجد نفسه مُؤَلَّهًا من دون الله أو مُؤَلِّهًا لغير الله، نسأل الله العافية.

ومن معالم الإيمان بالطاغوت في الجاهلية المعاصرة:

أولًا: إعطاء حق الحكم والتشريع لغير الله.

الحكم والأمر والسيادة والتشريع المطلق لا يكون إلا لمن له الملك والسلطان، فهو حق خالص لله لا يشاركه فيه أحد؛ لأن كل ما سوى الله عبدٌ مملوكٌ ليس له من الملك والأمر شيء، وما خلَقنا الله إلا لنعبده وحده فنطيع أمره ونجتنب نهيه ونتّبع شرعه، فالواجب علينا ألّا نتخذ غير الله حكَمًا ولا مشرِّعًا، فالحكم والتشريع لله وحده، ليس لأحدٍ أن يحكم بعد حكم الله، أو يشرِّع ما لم يأذن به الله، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٠].

فمن ادّعى هذا الحق لنفسه، أو أُعطي له فرَضي به فهو طاغوت؛ لأنه تجاوز حدَّ العبودية وتعدَّى على حق الربوبية والألوهية.

ومن أعطى حق الحكم والتشريع لغير الله، أو وافق على تحكيم غير شريعة الله، أو شارك في انتخاب المشرّعين من دون الله والحاكمين بغير شريعته، فقد جعل شريكًا لله في الربوبية والألوهية، وهذا إيمان بالطاغوت وكفر بالله.

وهذا الأمر موجود في جميع دول العالم اليوم من غير استثناء، سواء التي تنتسب للإسلام والتي لا تنتسب له، فالنظم الديمقراطية عمومًا تقوم على هذا الأساس، وكذلك النظم الاشتراكية والرأسمالية وغيرها، كلها نظم علمانية تقوم على إعطاء حق الحكم والتشريع لغير الله، وهذا من أبرز سمات الجاهلية على مَرِّ العصور، وهذا نقيض الإسلام، فالإسلام يقوم على الاستسلام والانقياد والاحتكام لله وحده، أما الجاهلية فهي تقوم على اتخاذ شركاء لله في العبادة والحكم والاتّباع والولاء.

ثانيًا: القبول والانقياد والطاعة لما يشرّعه المشرعون من دون الله.

الذين يشرّعون للناس ما لم يأذن به الله، ويحلِّون ما حرم الله، ويحرمون ما أحله، ويحكمون بغير حكمه، هم طواغيت، لا بد من الكفر بهم وبتشريعاتهم ورفضها واجتنابها والإيمان بالله وحده وبما شرعه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ

أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

ومن قَبِلَ ما يشرِّعه المشرّعون من دون الله، وأطاعهم في تشريعاتهم فقد آمن بالطاغوت وكفر بالله، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

قال ابن جرير: [اتخذ اليهود أحبارهم، وهم العلماء، والنصارى رهبانهم، وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم... ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرّمه الله عليهم، ويحرّمون ما يحرّمونه عليهم مما قد أحلّه الله لهم.

وروى عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيَّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ»، قَالَ: فَطَرَحْتُهُ وَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٍ، فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لَسْنَا نعبُدْهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»(١).

وروى عن أبي البَختري قال: قيل لحذيفة: أرأيت قول الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ... ﴾ قال: أما إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلّون لهم، ولكنّهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئًا أحله الله لهم حرّموه، فتلك كانت ربوبيتهم.

وروى عن أبي البَختري أيضًا: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: انطلقوا إلى حلال الله فجعلوه حرامًا وانطلقوا إلى حرام الله فجعلوه حلالًا، فأطاعوهم في ذلك، فجعل الله طاعتهم عبادتهم، ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا.

وروى عن السُدِّي قال: قال عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لم يأمروهم أن يسجدوا لهم، ولكن أمروهم بمعصية الله، فأطاعوهم، فسمّاهم الله بذلك أربابًا](٢) ا.هـ.

---

(١) رواه الترمذي في السنن، ونسب السيوطي في الدر المنثور تحسين الحديث إلى الترمذي، وزاد نسبة الحديث وعزْوه إلى ابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مَرْدَوَيه، والبيهقي في سننه.

(٢) تفسير الطبري.

ثالثًا: الحكم بالأحكام والقوانين والتشريعات الوضعية، والتحاكم إليها.

الاحتكام لله وحده هو مقتضى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته، ويلزم منه الحكم بما أنزل الله واجتناب الحكم بغيره، والتحاكم إلى من يحكم بحكم الله ورفض التحاكم لغيره، واتّباع شريعة الله ورفض ما سواها.

قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨].

والحكم بالأحكام والقوانين والتشريعات الوضعية التي يضعها البشر من عند أنفسهم أوالتحاكم إليها إيمان بالطاغوت.

قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا

لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المائدة: ٥٠]، فالأحكام والقوانين والتشريعات الوضعية هي حكم الجاهلية، من حكم بها أو تحاكم لمن يحكم بها فهو مؤمن بالطاغوت كافر بالله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

رابعًا: الولاء على غير الإسلام.

الإنسان إما أن يكون في ولاية الله أو يكون في ولاية الطاغوت، ليس هناك طريق ثالث، ولا يكون الإنسان في ولاية الله حتى يكفر بولاية الطاغوت ويجتنبه ويكفر بأولياء الطاغوت وعبيده، ويؤمن بالله وحده ويتولّى اللهَ ورسولَه والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾ [البقرة: ٢٥٦-٢٥٧].

وجميع المجتمعات التي تحكمها الأنظمة العلمانية التي تقوم على أساس الاحتكام لغير الله وتفصل بين دين الله والحياة العامة للمجتمع بجوانبها

المختلفة داخلة في ولاية الطاغوت من دون الله، ولهذا فهي لا توالي وتعادي لله، ولا تعطي اهتمامًا لما يوجبه الإسلام من الولاء لله ولرسوله والمؤمنين، إنما توالي على أسس أخرى بعيدة كل البعد عن الدين كالولاء على الوطنية أو القومية أو الإنسانية أو غيرها، وهذا يناقض الإسلام من أساسه لأنه يقوم على توحيد الله في الولاء كما يقوم على توحيده في الحكم والشعائر والنسك[1]، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا

---

(١) الشعائر جمع شعيرة، وهي كل ما شرعه الله لعباده من القُرَب والطاعات التي يتقربون بها إليه، فالصلاة وما فيها من الذكر والقيام والركوع والسجود والخشوع شعائر يتقرب بها إلى الله، وكذلك الصوم والحج وما فيه من الطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار والبُدْن والهدي كلها من شعائر الله، وهي تضم جميع معالم دين الله، وهو ما أعلمَناه الله تعالى من فرائض دينه وعلاماتها وحدودها.

والنسك هو ما يُتقرب به إلى الله، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، المراد به الذبح أي صلاتي وذبحي على قول أكثر المفسرين، وأما المناسك فإنها جمع منسك وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه ويتقرب إليه فيه بما يُرضيه من عمل صالح، إما بذبح ذبيحة له، وإما بصلاة أو طواف أو سعي وغير ذلك من الأعمال الصالحة، ولذلك قيل لمشاعر الحج مناسكه لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس ويترددون إليها.

تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥].

والإنسان متى صرف الولاء لغير الله ورسوله والمؤمنين خرج من ولاية الله، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]، وقال: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٨٠-٨١].

خامسًا: التوجه بشيء من العبادة لغير الله.

العبادة حق خالص لله، من توجه بها لله وحده فقد آمن بالله إلهًا واحدًا، ومن جعل شيئًا منها لغير الله فقد آمن بإله غير الله، فالتوجه بشيء من العبادة لغير الله تأليه لغير الله لا يجتمع أبدًا مع توحيد الله، فمن توجه بشيء من العبادة لصنم أو قبر أو ضريح أو شجرة أو جن أو بشر فقد فعل ما كان يفعله قوم نوح مع آلهتهم ودٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرٍ، وما كان

يفعله كفار قريش ومن تبِعهم مع آلهتهم هُبَل واللَّات والعُزَّى ومَنَاة وغيرها.

فالذين يتوجهون اليوم إلى القبور والأضرحة بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والطواف والركوع والسجود وغير ذلك من أنواع العبادة هم مؤمنون بالطاغوت كافرون بالله، مثلهم مثل من سبقهم من عبَّاد الأصنام والأوثان.

سادسًا: القتال في سبيل الباطل وإعلاء كلمة الكفر.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦ ﴾ [النساء: ٧٦].

سبيل الله واحدة هي الإسلام صراطه المستقيم، وهو طريق العبودية الخالصة لله المتمثلة في طاعته وطاعة رسوله، ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

سبيل الطاغوت هي طرق الشيطان التي يصد بها الناس عن الدين الحق ويعبِّدهم لغير الله، وسبل الشيطان متنوعة وكثيرة يجمعها أمر واحد هو طاعة الشيطان، ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسۡتَقِيمٌ ۝٦١﴾ [يس:٦٠-٦١].

فكل منهج أو فكرة أو نظام أو حزب يقوم على تأليه غير الله في الحكم والتشريع أو الولاء والبراء أو الشعائر والنسك هو سبيل الطاغوت.

وجميع المناهج والنظم التي تقوم على أساس الشرك بالله هي في حقيقتها أديان جاهلية من وضع البشر بوحي الشياطين، فالقتال في سبيلها للتمكين لها والدفاع عنها ودعْمها وتأييدها والدعوة إليها كل هذا إيمان بالطاغوت وكفر بالله، يدخل في ذلك الدفاع عن الأوثان المشيدة على القبور المعبودة من دون الله، كذلك الدفاع عن أنظمة الحكم التي تعطي التشريع لغير الله ولا تلتزم بشريعة الله.

كذلك القتال في سبيل تحقيق الديمقراطية وإنشاء دولة الدستور والقانون الوضعي هو قتال في سبيل الطاغوت، فلا فرق بين أن يكون صاحب الحق في التشريع الملك أو الرئيس أو مجلس الشعب أو البرلمان أو غيره، كلها أنظمة طاغوتية لا تدين بالإسلام لله وحده والاحتكام له وقبول تشريعه وحده.

وأما من قاتل ليكون الحكم والتشريع والعبادة والطاعة لله وحده، فلا يُحكم بغير حكم الله، ولا يُدان بغير دينه، ولا يُتّبع إلا شرعه، فهو قتال في سبيل الله، وهو ذروة سنام الإسلام.

والنظام الإسلامي هو النظام القائم على ثلاث ركائز أساسية:

١- أن يكون الحكم والتشريع المطلق لله وحده، وما كان من تشريع المسلمين فلا يخرج عنه.

٢- أن تكون العبادة والطاعة لله وحده، وما كان من طاعة لغيره فلا تخرج عن طاعته.

٣- أن يكون الولاء لله ولرسوله ولدينه وللمؤمنين، والبراء من الطاغوت ومنهجه ونظامه وأوليائه وعبيده.

وما سوى هذا النظام فهو طاغوت.

سابعًا: مدح الباطل وتحسينه وتزيينه، والطعن في دين الله وأحكامه، والصدُّ عن سبيله.

مثاله ما حكاه الله عَزَّوَجَلَّ عن اليهود بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [النساء: ٥١-٥٢]، جعل قولهم لكفار قريش أنهم أهدى سبيلًا من رسول الله ﷺ وصحبه مِنْ كفرهم بالله الذي

استحقوا به اللعنة[(١)]، فكل من فضَّل دينًا أو منهجًا أو حكمًا أو شريعةً أو نظامًا على دين الله، أو ساواه به، فهو مؤمن بالطاغوت كافر بالله.

قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣٢].

---

(١) قال ابن جرير في التفسير: [ومعنى الكلام: إن الله وصف الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة والإذعان له بالطاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما، وأنهم قالوا: إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الايمان به، وإن دين أهل التكذيب لله ولرسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق لله ولرسوله] ا.هـ.

ثامنًا: تعظيم الشعارات والرايات التي ترمز لنظام الطاغوت وحكمه.

من المعلوم أن لكل نظام من أنظمة الكفر العلمانية في سائر دول العالم اليوم شعارات تختص بها ورايات ترمز لها، هذه الشعارات والرايات ينص عليها دستور تلك الدول، ولها حق القداسة والتعظيم.

هذه الشعارات والرايات لها حكم النظام الذي تمثله وترمز له، فإذا كان النظام جاهليًا كسائر الأنظمة في العالم اليوم فتعظيم هذه الرايات والشعارات تعظيم للجاهلية، وهذا من الكفر بالله.

وأيضًا هي من شرائع الطاغوت التي أوجب على عبيده تعظيمها وتقديسها وحرَّم عليهم الاستهانة بها، فتعظيمها تعظيم له وإيمان به، ومن تعظيمها الوقوف لها في صمت وخشوع كما يقف المسلم خاشعًا لله في الصلاة، وهذا ما يفعله جند الطاغوت، وكذلك التلاميذ في المدارس.

هذه بعض مظاهر الإيمان بالطاغوت المتفشية في واقعنا المعاصر، وكما قلنا سابقًا أن الإيمان بالطاغوت قد يكون بالاعتقاد فقط دون القول والعمل، وقد يكون بالقول أو العمل دون الاعتقاد، فلا يُشترط في الأقوال والأعمال التي ذكرناها سابقًا أن تكون مصحوبة بالاعتقاد لكي تكون إيمانًا

بالطاغوت، كما قال الله عن الذين أرادوا التحاكم إلى الطاغوت بِنِيَّة الإحسان والتوفيق: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

الفصل الرابع

غربة الإسلام



الفصل الرابع

غربة الإسلام

غربة اليوم كغربة الأمس.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»[١].

لو نظرنا اليوم إلى عدد الذين ينطقون الشهادتين ويتسمَّون بالمسلمين لوجدناه بالملايين، وإذا تأملنا أحوالهم وحقيقة ما يدينون به لوجدنا أكثرهم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ومن التوحيد إلا لفظه، يزعمون أنهم مسلمون مؤمنون بالله ورسوله بريئون من الكفر وأهله، وحالهم لا يختلف عن حال الجاهلية الأولى التي كانت تزعم أنها على ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهي لا تعرف من ملة إبراهيم إلا الاسم الجميل، فكفار قريش كانوا يقولون نحن على ملة إبراهيم وهم يدينون بعبادة الأصنام واتّباع ما يشرّعه لهم شركاؤهم من دون الله، واليهود والنصارى كانوا يقولون نحن على ملة إبراهيم ويؤلِّهون عُزَيْرًا والمسيح ابن مريم ويطيعون أحبارهم ورهبانهم فيما

(١) رواه مسلم.

يشرّعونه لهم من دون الله، وعندما بعث الله لهم رسوله محمدًا ﷺ بملة إبراهيم لم يقبل أكثرهم الاستجابة لدعوته والدخول في دينه، وزعموا أنه أتاهم بدين جديد، وأنهم أحق بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منه، فردّ الله عليهم زعمهم الكاذب، وبرَّأ خليله إبراهيم منهم، وقضى لأهل الإسلام ولأمة محمد ﷺ أنهم هم أهل دينه وعلى منهاجه دون سائر أهل الملل والأديان غيرهم، قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧-٦٨]، وذلك لأن اليهود والنصارى والمشركين أخذوا من ملة إبراهيم الاسم فقط وخالفوه في الدين فلم يكونوا من أتباعه وأهل ملته، وإنما أتباعه وأهل ملته هم الذين اتبعوه على دينه وساروا على نهجه ولم يرغبوا عن ملته، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، أي من تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك والكفر بما يُعبد من دونك، فإنه معي على ديني مُسْتَنٌّ بسنتي وعامل بمثل عملي، ومن لم يتّبعني وعصاني ولم يوحّدك فإنك غفور رحيم تتوب عليه إن تاب ورجع، أو توفِّقه حتى يُسلم لك(١).

---

(١) انظر تفسير الطبري والبغوي وأبي الليث السمرقندي.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

فالإسلام ليس مجرد اسم جميل من تسمَّى به صار من أهله، بل هو دين الله الذي شرعه لعباده وبعث به جميع رسله، ومعناه الاستسلام والانقياد لله وحده من غير إشراك ولا استكبار، والاستسلام لله لا يكون إلا باتّباع رسله، وقد جعل الله خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إمامًا في الإسلام يأتم به الناس إلى يوم القيامة ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

وقد أمر الله رسوله محمدًا ﷺ وأُمّته باتّباع ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]، وقال: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥]، فمن زعم أنه مسلم ولم يكن على ملة إبراهيم مؤمنًا بالله وحده متبرئًا من الشرك وأهله فحاله حال الجاهلية الأولى الذين كانوا يزعمون أنهم على ملة إبراهيم وهم لدينه مخالفون.

إيمان الناس بالطاغوت دليل على جاهليتهم وكفرهم بالله.

لا يمكن أبدًا أن يكون الدين خالصًا لله ما لم تكن العبادة كلها لله وحده، ولا يمكن أبدًا أن تكون العبادة كلها لله إذا كان هناك شرع يطاع ويتّبع غير شرع الله، فالناس في دين الله إذا كانوا يعبدون الله وحده ويقبلون شرعه وينقادون له ويرفضون شرع غيره ويكفرون به، وفي غير دين الإسلام إذا كان انقيادهم واستسلامهم وطاعتهم لله ولغيره، يتلقون الأحكام والشرائع من الله ومن غيره، وهذه هي الجاهلية بعينها وإن سَمَّاها أهلها الإسلام.

فإذا دان الناس بالطاعة والولاء لغير الله فقد خرجوا عن عبادة الله إلى عبادة غيره، وعن تأليه الله إلى تأليه غيره، وهذا هو الشرك الذي يجعل صاحبه كافرًا مشركًا وإن كان يتلفظ بالشهادتين ويزعم أنه من المسلمين.

فإذا كان الناس مع شركهم بالله وإيمانهم بالطاغوت يدَّعون الإسلام فهذا دليل على أنهم لا يعرفونه، وإذا كانوا لا يعرفون الإسلام لم يَعُدْ من الممكن قبول دعواهم أنهم على هذا الدين، فالجهل بالإسلام مانعٌ من إثباته في حقهم، فهم كفار كفرًا أصليًا لم يدخلوا الإسلام بعد.

وهذا هو حال أكثر الناس اليوم - إلا من رحم الله وقليلٌ ما هم –

يدَّعون أنهم على ملة إبراهيم، ويتلفَّظون بالشهادتين، ويصلّون ويصومون ويذكرون الله ويحجّون، ولكنهم لا يؤمنون بالله وحده ولا يتبرؤون من الشرك وأهله، ولا يعرفون حقيقة الإسلام ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله، يظنون أن الإسلام هو النطق بالشهادتين، فكل من نطق بهما فهو من المسلمين (على زعمهم) وإن لم يعرف معناهما ويعمل بمقتضاهما.

وهذا يدلُّك على غربة الإسلام وغياب حقيقة التوحيد، وأن الإسلام الذي يزعمه الملايين من الناس اليوم ليس هو الإسلام الذي ارتضاه الله بل هو نقيضه تمامًا، فالإسلام لا يمكن أن يجتمع أبدًا مع الإيمان بالطاغوت، فإيمان الناس بالطاغوت دليل على جاهليتهم وتركهم الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

هذه الآية دليل على عدم إسلام من لم يكفر بالطاغوت وإن زعم أنه مؤمن بالله.

كما قال الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠ ﴾ [النساء: ٦٠].

هذه الآية دليلٌ على أن التحاكم إلى الطاغوت إيمانٌ به، وأن المسلم لا يتحاكم إلى الطاغوت لأنه كافرٌ به وبأحكامه وشرائعه.

وأيضًا هي دليلٌ على كفر من يزعم أنه مسلم ويريد أن يتحاكم إلى الطاغوت؛ لأن التحاكم إلى الطاغوت إيمانٌ به يناقض الإسلام من أساسه.

فالكفر بالطاغوت والإيمان بالله هو معنى (لا إله إلا الله) وهو أصل الإسلام وحقيقة التوحيد الفارق بين المسلمين والكفار، من أتى به اعتقادًا وقولًا وعملًا فهو من المسلمين، ومن لم يأتِ به فهو من الكافرين.

والأنبياء جميعًا متفقون على هذا الأصل مجتمعون عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وهم بريئون ممن خالفهم في هذا الأصل ولم يؤمن بما آمنوا به، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

فالكفر بالطاغوت والإيمان بالله، هو الأصل الجامع للمسلمين جميعًا، والحد الفارق بينهم وبين الكفار، فلا تجد مسلمًا إلا وهو كافر بالطاغوت مؤمن بالله وحده، ومن زعم أنه مسلم من دونه لم يعرف الإسلام بعد.

وكثيرٌ من الناس اليوم الذين يزعمون أنهم مسلمون لا يعرفون هذا الأصل ولا يؤمنون به، فتراهم يتوجهون بأنواع من العبادة لغير الله، ويجعلون لله شركاء في الحكم والتشريع والاتّباع ومع هذا يحسبون أنفسهم مسلمين، وينكرون على من كفَّرهم، وذلك لظنهم أن النطق بالشهادتين يعصمهم من الكفر، ولو كان التوحيد مجرد كلمة تقال باللسان ما تميَّز المسلم عن المشرك في عقيدته وعمله وحاله، والحق أن المسلم هو من وحَّد الله اعتقادًا وقولًا وعملًا، وفارق المشركين في الاعتقاد والقول والعمل، فالشرك قد يكون في الاعتقاد أو القول أو العمل أو في ثلاثتها جميعًا، ولا بد لمن يريد أن يكون مسلمًا أن يوحد الله بالاعتقاد والقول والعمل ويبرأ من الشرك في الاعتقاد والقول والعمل.

فمن نطق الشهادتين ولم يكفر بالطاغوت فهو غير مؤمن بهما، ومن وافق المسلمين في قول (لا إله إلا الله) ولم يوافقهم في الإيمان بها قولًا وعملًا فليس من المسلمين حتى يؤمن بما آمن به المسلمون ويكفُر بما كفروا به ليكون على دينهم، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وقال سبحانه: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ

أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾

[آل عمران: ٢٠].

وقد عرف أعداء الله من شياطين الإنس والجن أنهم إذا استطاعوا زعزعة عقيدة الإيمان بلا إله إلا الله فقد تمكنوا من الإسلام، ولا يضرهم بقاء اللفظ مع غياب حقيقة الإيمان، فالإيمان بلا إله إلا الله هو الأساس الذي يقوم عليه الإسلام وليس مجرد اللفظ، إذا غاب هذا الأساس غاب الإسلام كله، وإذا انتقض انتقض الإسلام كله وإن ظل الناس يرددون اللفظ، وانظر إلى آثار غياب عقيدة الإيمان بلا إله إلا الله كيف يدين الناس بالكفر والشرك البواح وهم يقولونها بألسنتهم ويحسبون أنفسهم موحدين.

والعامة من الناس على دين علمائهم، فهم الذين لقَّنوهم أن من نطَق الشهادتين فهو مسلم وإن لم يعرف التوحيد ويعتقده ويعمل به؛ وعلَّموهم أن الجهل بالتوحيد مانعٌ من تكفير الناطق بالشهادتين، ولهذا يحكمون بإسلام كل من نطق بالشهادتين سواءٌ كفر بالطاغوت أو لم يكفر به، بل منهم من يعتقد بإسلام الطاغوت نفسه لأنه يقول لا إله إلا الله ويصلي، وهم بهذا المعتقد يجمعون بين الإسلام والكفر، ولا يؤمنون بحدٍ فارقٍ بين المسلم والكافر، وهذا من أعظم ما يهدم الدين، ويبدِّل معالمه، وينشر الكفر تحت ستار الإسلام، ولو كان الناس حقًّا مسلمين لتميَّزوا عن الكفار بدين لا

يعترف بألوهية أحدٍ غير الله.

موقف المسلم من الجاهلية.

المسلم هو من يقيم دينه على الإيمان بلا إله إلا الله اعتقادًا وقولًا وعملًا، ويوالي من وافقه على الإيمان بها ويعادي من خالفه، فهو على يقين من كفر المخالفين له في هذا الأصل وإن زعموا أنهم له موافقون، ولا يشك لحظة في كفر من لم يكفر بالطاغوت جاهلًا كان أو عالمًا؛ لأن هذا هو الأصل الذي يميِّزه عن الكفار، ولولا براءته من الكفر وأهله لما كان مسلمًا؛ ولهذا فإن موقفه من كل منهج أو نظام أو دين لم يأذن به الله هو الكفر به من الأساس، واعتباره شركًا وكفرًا بالله، هذا ما يُمليه عليه إسلامه لله، فلو أنه شك أو توقف في رفضها واعتبارها كفرًا لما بقي على الإسلام، وليس له أن يداهن في موقفه أو يُحابي أو يتردد، بل لا بد أن يكون موقفًا واضحًا:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، كل من خالف الإسلام ملة إبراهيم دين التوحيد فهو بريء من النبي ﷺ، والنبي منه بريء، والمسلمون منه برآء[١].

(١) انظر تفسير الطبري وابن كثير.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فالمسلم لا يمكن أن يوافق الجاهلية فيما هم عليه من الباطل، فالذين يشهدون أن مع الله آلهة أخرى سواءٌ في الحكم والتشريع أو الولاء والطاعة لا يوافقهم المسلم على ما هم عليه، ولا يشهد شهادتهم، وإنما يخالفهم ويشهد بالألوهية لله وحده، ويكفر بآلهتهم ويبرأ منهم ومن شركهم وضلالهم.

وهذا هو موقف الأنبياء جميعًا وأتباعهم، قال تعالى عن خليله إبراهيم، ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال ابن جرير: [يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ: قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة، أي: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن، تقتدون به، والذين معه من أنبياء الله.. حين قالوا لقومهم

الذين كفروا بالله، وعبدوا الطاغوت: أيها القوم إنا برآء منكم، ومن الذين تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد.. كفرنا بكم، أي: أنكرنا ما أنتم عليه من الكفر بالله، وجحدنا عبادتكم ما تعبدون من دون الله أن تكون حقًّا، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه، ولا صلح بيننا ولا هوادة.. حتى تُصدّقوا بالله وحده، فتُوحدوه، وتُفردوه بالعبادة][(١)] ا.هـ.

روى ابن جرير عن ابن إسحاق قال: [لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطّلب وأميّة بن خلف رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، هلُمّ فلنعبد ما تعبد، وتعبُد ما نعبد، ونشركك في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيرًا مما بأيدينا كنّا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظّنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيرًا مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت منه بحظّك، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [سورة الكافرون]][(٢)] ا.هـ.

---

(١) تفسير الطبري.

(٢) تفسير الطبري.

فالمسلم لا تحصل منه أبدًا موافقةٌ للمشركين في تأليه غير الله، بل هو بريء مما يعبده المشركون في الماضي وفي الحاضر والمستقبل، وهو لا يكون مسلمًا إلا بهذا، فمتى وافق المشركين في شيء من دينهم الباطل صار مشركًا مثلهم، فدين الإسلام لا يلتقي مع دين المشركين أبدًا، ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٤﴾ [يونس: ١٠٤].

هذا هو موقف المسلم من الجاهلية سواء التي تزعم أنها على الإسلام ولا تدين به، أو التي تتنكر للإسلام وتعلن رفضها له صراحة، كلاهما جاهلية ليست من الإسلام في شيء، ولعل الجاهلية التي تحمل اسم الإسلام أشد خطرًا من الأخرى، فيجب أن يكون المسلم على حذر منها، فهي لا تفتأ تزيّن باطلها بزخرف القول، وتصبغ كفرها بالإسلام، فعليه ألا يغتر بذلك، ولا يدخله الشك في حقيقة ما تدين به، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ۝١٠٩﴾ [هود: ١٠٩].

واجب الدعوة.

ولا يقف دور المسلم عند مفاصلة الجاهلية والبراءة منها، بل عليه واجبٌ ثقيل هو محاولة دعوة الناس للإسلام من جديد، ليحققوا الكفر بالطاغوت والإيمان بالله كما جاءت به رسل الله، وعليه أن يسير في دعوته على ذات النهج الذي سار عليه رسول الله ﷺ وهو يواجه جاهلية كالتي نعيشها اليوم، فالإسلام بدأ غريبًا وعاد اليوم غريبًا، فكل ما حولنا جاهلية، جاهلية متمثلة في عبادة الأوثان والأضرحة والقباب، وجاهلية متمثلة في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله وتشريع ما لم يأذن به، وجاهلية متمثلة في طاعة الرؤساء والعلماء فيما يخالف دين الله، وجاهلية متمثلة في التحاكم إلى غير شريعة الله، والحكم بغير ما أنزل الله، وجاهلية متمثلة في الولاء لغير الله.

فمَن لهذه الجاهلية التي تتمسح بالإسلام وتزعم أنها حاملة لواء الدعوة إلى الله؟

من لها غير طائفة الموحدين الذين يثابرون ويصابرون، ويتحملون كل تضحية وألم ومشقة في سبيل إحياء هذا الدين؛ ليعود ظاهرًا كما كان؟

قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ

عَلَى النَّاسِ»[١].

إن الذي يجب عليه أن يقف في وجه هذه الجاهلية هم العصبة المؤمنة التي اختارت أن تسير على طريق رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تمييع، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[٢].

يجب علينا أن نُبلّغ رسالة الله، ونؤدي أمانته على منهج رسوله ﷺ، ندعو إلى ما دعا إليه، ونبدأ بما بدأ به، فالرسالة هي الرسالة، والإسلام هو الإسلام، والجاهلية هي الجاهلية.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

هذا الواجب في عنق كل مسلم كلٍّ على قدر استطاعته، فأول واجب على العبد أن يوحِّد الله اعتقادًا وقولًا وعملًا، ثم يستقيم على ذلك ولا ينقضه، ثم يدعو الناس إليه على بصيرة، ويجتهد في طاعة الله حتى يكون هو بذاته صورة واقعية من الإسلام الذي يدَّعيه ويدعو إليه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٠- ٣٣].

وسوف يعود الإسلام ظاهرًا على ما سواه، وتُرفع راية لا إله إلا الله، ويُعبد الله وحده، ويُكفر بما دونه، ويعود الحكم بشريعة الله، وتتحطم الأصنام، وتُزال الأوثان، ويُكسر الصليب بإذن الله، عسى ذلك أن يكون قريبًا.

فما على المسلمين إلا الصبر في مواجهة الجاهلية، وألا يتركوا لها الطريق تسير فيه لوحدها، وأن يحذروا كل الحذر من الركون إليها، أو التنازل عن شيء من الدين طمعًا في هدايتها، وليدركوا جيدًا أن الإسلام لم يأتِ لترقيع الجاهلية بل جاء لينقضها من الأساس ويعيد بناءها على قواعد الحق.

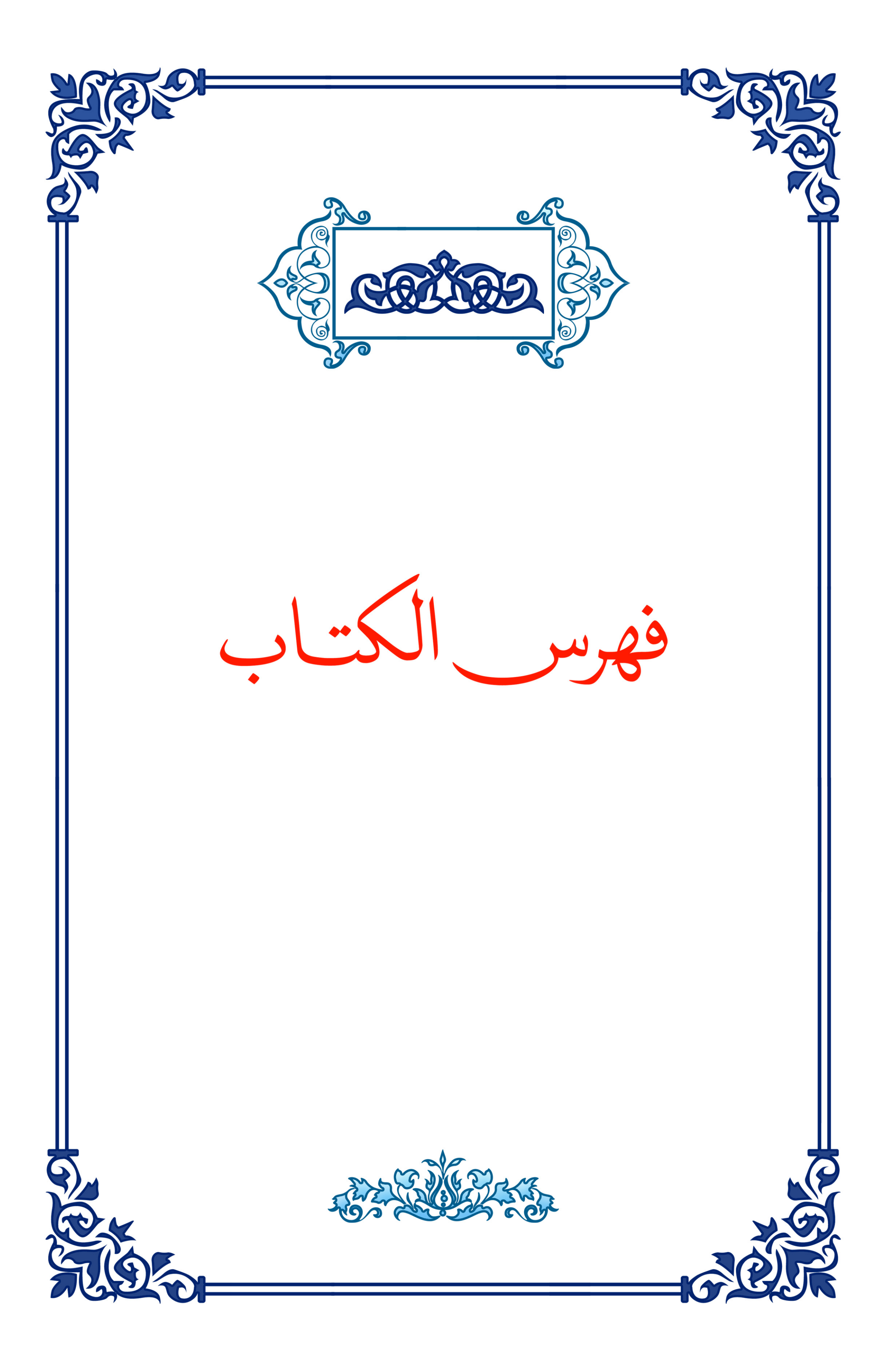
وكلما واجه المسلمون الجاهلية وصبروا لها وقعدوا في طريقها فسوف تتقهقر إلى الوراء، وتبحث لها عن طريق للهروب، فالباطل لا يصمد في مواجهة الحق، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

اللَّهم إنا نسألك صحة في إيمان وإيمانًا في حسن خلق ونجاحًا يتبعه فلاح، اللَّهم ألزمنا كلمة التقوى، واجعلنا أحق بها وأهلها، ومكِّن لنا ديننا الذي ارتضيته لنا، واعصمنا من الزيغ والضلال، واجْنُبْنا وبَنِينَا أن نعبد الأصنام، واختم لنا بالإسلام.


سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ
تَمَّ الكِتَابُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى



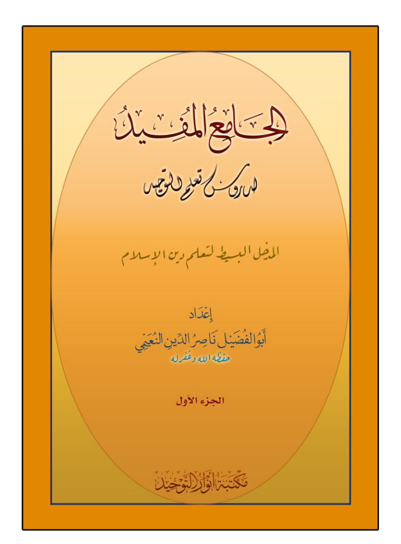
فهرس الكتاب

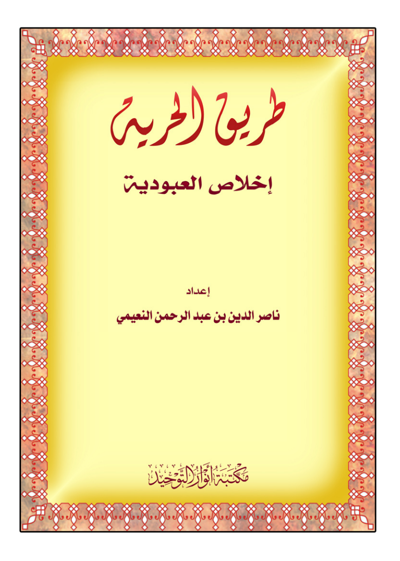
فهرس الكتاب

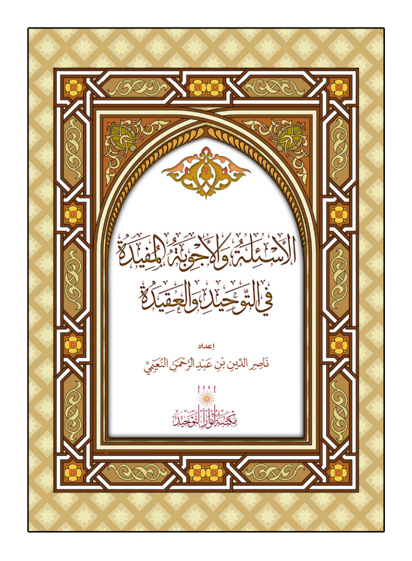

مكتبة أنوار التوحيد
www.alanwor.com


من اصدارات المكتبة


الحث على العمل والدعوة لدين الله
إعداد
ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي
مكتبة أنوار التوحيد


الجامع المفيد
لدروس تعلم التوحيد
المدخل البسيط لتعلم دين الإسلام
إعداد
أبو الفضيل ناصر الدين النعيمي
حفظه الله وغفر له
الجزء الأول
مكتبة أنوار التوحيد


طريق الحرية
إخلاص العبودية
إعداد
ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي
مكتبة أنوار التوحيد


الأسئلة والأجوبة المفيدة
في التوحيد والعقيدة
إعداد
ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي
مكتبة أنوار التوحيد





ما هو الطاغوت

وكيف نكفر به؟

وبالرغم من وضوح حقيقة التوحيد من دعوته ﷺ والرسل من قبله إلى عبادة الله وحده والكفر بعبادة ما سواه إلا أن هذه الحقيقة أصبحت اليوم شيئًا نظريًا لا علاقة لها بواقع الحياة، فلم يَعُد شرطًا في كون الرجل مسلمًا أن يعرف توحيد الله ويؤمن به عقيدةً وقولًا وعملًا ويبرأ من الشرك وأهله، بل الشرط الوحيد هو أن يتلفظ بالشهادتين، فصار الفارق بين المسلم والكافر ليس الإيمان بالشهادتين كما شرعه الله وبلَّغه رسوله ﷺ بل التلفظ بهما فقط، أما أن يكون الإنسان مؤمنًا بهما أو غير مؤمن فهذا أمرٌ ثانوي لا يُؤبه له ولا يُعوَّل عليه، وهذا التميع في مفهوم الإسلام نتج عن الجهل بحقيقة التوحيد الذي يفرّق بين دين الله وغيره من الأديان الجاهلية الوثنية الباطلة؛ ولهذا كانت معرفة التوحيد والعمل به أعظم ما ينبغي على العبد أن يحصِّله في هذه الحياة، وما أنعم الله على عبد نعمة أعظم من أن يهديه لمعرفة الطريق الموصل إليه ويوفقه لسلوكه والاستقامة عليه، فمن لم تتضح عنده معالم الطريق إلى الله انحرف عنه وهو لا يشعر، فيسلك سبل الضلالة ويحسب أنه من المهتدين، ولا شك أن الطريق إلى الله واحدٌ لا ثاني له من سلكه نجا ومن انحرف عنه خاب وخسر، وهو صراطه المستقيم ودينه القيم الذي هدى إليه نبيه واصطفاه لتبليغه للناس كافة، فمن لم يوحد الله لم يسلك طريقه، ومن لم يمت على التوحيد لن يدخل جنته، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣ ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].



